٥ — شـــهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والاحصاء بوزارة المعارف

والتنظيم الادارى فى منطقة الآبار بلغ درجة عظيمة من الاتقان ، والدخول فيها لغير موظفى الشركة غير مسموح ، والتدخين فيها ممنوع والقائمون بالعمل فيها ثلاث فئات : طبقة الموظفين الكبار وجلهم انجليز ومنهم المهندسون ورؤساء الاقسام ، ثم طبقة كبار الصناع ، وهم خليط من الانجليز والفرنسيين والارمن ، ثم طبقة الصناع والعمال وغالبيتهم من المصريـــين من أهالى قنا وقفط ، ويقيمون فى قرية منازلها نظيفة منسقة فى طرفها الشمالى مسجد كبير شيده العمال على نفقتهم الخاصة ، ويقوم بالامامة فيه عالم من الازهر سمعته يوم الجمعة يلقى الخطبة بعبارة مهذبة جلية ، وبالقرب من المسجد كنيسة للاقباط ، وفى الجهة الغربية من القرية مدرسة أولية يتعلم فيها أولاد العمال وصغار الموظفين ، وبالقرية حانوتان كبيران تباع فيهما انواع الحاجات المنزلية بأثمان معتدلة ، وسكان القرية نحو ٦٥٠ نسمة منهم ٤٥٠ من الصناع والعمال

وبالغردقة طبيب ومأمور تابع لمصلحة الحدود لفض المنازعات ، ويقيم بها أيضا مفتش سواحل البحر الاحمر ، وهو موظف مصرى كبير تمتد سلطته من جنوبى القصير حتى السويس ، ومركزه دقيق فهو يقوم بالحكم فى أربع مناطق نفوذ لشركات اجنبية قوية ، فى القصـــير وسفاجة شركتان للفوسفات الاولى طليانية والثانية انجليزية ، وفى الغردقة ودمشة شركتان للبترول وهما انجليزيتان ، ومن اهم واجباته صون النظام العام داخل هذه الشركات والمحافظة على الأرواح والاملاك

فى سفاجة

فى طريق معبدة تارة تحاذى البحر فى انبســاط وطورا تحيد عنه الى سفوح الجبال فتعلو وتهبط وتنحنى وتلتوى ـــ فى هذا الطريق درجت بنا السيارة فى الصباح جهة الجنوب قاصدة سفاجة إحدى موانى الفوسفات على البحر الاحمر فوصلناها ضحى ، بعد أن قطعنا سبعين كيلومترا فى ثلاث ساعات ، وسفاجة كالغردقة ـ كل منهما مركز لشركة أجنبية ، فهناك البترول وهنا الفوسفات ، وهناك (فيللات) مشيدة ومساكن منسقة وهنا أيضا (فيللات) ومساكن ، وهناك الرأس أجنبية واليد مصرية ، وهنا الحال كذلك

وتقع سفاجة فوق البحر على سفح جبل عال من الجرانيت وأمامها جهة الشرق جزيرة طويلة مرتفعة ، وهى كالغردقة طلقة الهواء خفيفة الروح

ولسفاجة مرفأ حسن نصبت فوقه الروافع القوية ومدت عليه سكة حديدية ، وعلى مقربة منه تقوم مخازن الشركة ومصانعها ومكاتبها ومقطرات الماء (الكوندسة)

نزلنا نقطة بوليس مصلحة الحدود وبعد راحة قصيرة ذهبنا الى المرفأ حيث كان فى انتظارنا سفينة شراعية من مراكب الصيد فسارت بنا صوب الجزيرة فى بحر مضطرب ، وبعـــد ساعة أرست أمـام شـاطىء مـــرجانى ، فانصرف بعضنا الى الجزيرة للرياضة وصيد الطيور ، ومكث البعض الآخر فى القارب يلهو بصيـــد السمك بالشص ، وانتجعت ناحية فى المركب قرب مقدمها ، وجلست أسرح البصر فى البر والبحر ـ كان المنظر بهيجا حقا لملء النفس انشراحا وحبورا ، فجهة الغرب سفاجة بمنازلها ناصعة البياض ، ومن خلفها الجبل قائم كالستار الاسود فبدت البلدة أشد ما تكون وضوحا وتحديدا ومن تحتها البحر يمتد فى زرقة نضرة الى الافق جهتى الشمال والجنوب ، وفى محاذاة البحر الشاطىء متجعدا متعرجا فى تنوء وانحناء ، ومن وراء الشاطىء سلسلة جبال العرب تسمو فى عظمة تتضاءل مع مد النظر حتى تصير هى والبحر خطين

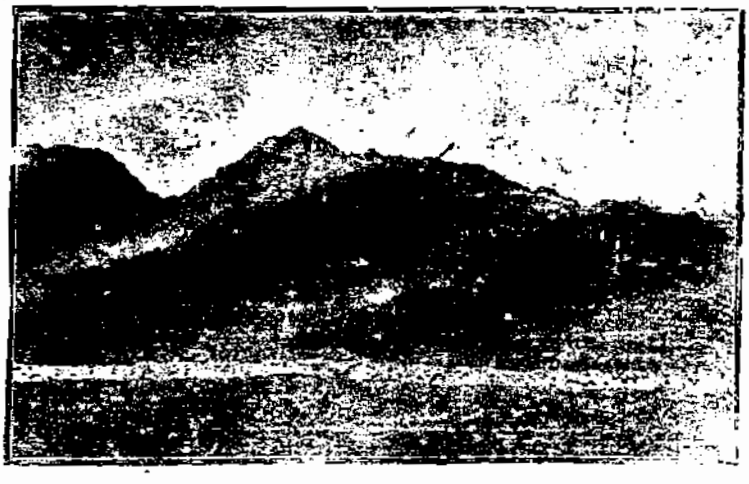

سفاجة : موقع البلده

متوازيين يلتقيان والسماء ، وجهة الشرق جزيرة سفاجة فى صفرة شديدة تنعكس صورتها فى الماء فيبدو أخضر قاتما ، والقارب فوق الماء كالارجوحة يعلو ويهبط فى رفق وهوادة ، والموج يلطم جانبيه فى ترقيع كالنقر على الدف ونسيم بليل عليل يخدر الاعصاب ويثقل الجفون ويجعل النوم اشهى مايكون — فاتكأت بظهرى على (برميل) كان بجانبى والنوم يغالبنى ، فكنت اغفو تارة وأصحو أخرى ، وقد مرت على ساعة هكذا وانا فى سعادة مابعدها سعادة

كان شريكى فى (البرميل) احد نوتية القارب جمعت سحنته كل ميزات عرب الحجاز من سكان السواحل ، فوجه طويل نحيف تحيط به لحية شعثاء خفيفة وعينان صغيرتان براقتان فى حاجر بارز فوقه حاجب غزير الشعر ، وبشرة نحاسية صقيلة وجسم ناحل دقيق ، وصاحبى رقيق الحال لايسترجسمه سوى أسمال من بقايا ثوب عتيق عقد أطرافها وخاط فتوقها على غير انتظام بغرز طويلة ، فكانت معرضا لانواع الخيوط وألوانها ، كان جالسا القرفصاء وقد بسط فى حجره جلدة سمك مقددة امسكها باحدى يديه واستعان باليد الاخرى على تمزيقها قطعا كان يحشى بها فمه ويلوكها ثم يبلعها من غير ادم ، وبعد أن أكل الجلدة حتى ذيلها ورأسها وزعانفها مد يده الى ناحية من المركب فاخرج منها علبة دخان قبض منها بين أصبعيه قبضة صغيرة من دخان أغبر ، دس فيها قطعة صغيرة من مادة حجرية بيضاء ، ثم ضغطها والقاها فى فمه ، وبعد أن مضغها القاها فى حلقه كذلك

فقلت ماذا تفعل يا أخى ؟

فاجاب غير مكترث :

— هذه سمكة آكلها وهذا تبغ أمضغه

— وهل أشبعتك هذه الجلدة ؟

— الحمد لله تكفى

فقلت فى نفسى مكررا عبارته الحمد لله الذى لايحمد على النعمة والحرمان سواه ، وقبيل الظهر أقلعت بنا السفينة عائدة الى سفاجة فى بحر هائج وريح قوية ، فكانت نزهة بحرية لم تخل من مجازفة

وبعد الظهر توجهنا إلى مكتب مدير الشركة فاستقبلنا بحفاوة وأخذ يصف لنا أعمال الشركة فقال : هنا المرفأ والمطاحن والادارة ، وفى وادى الحويطات على بعد ٢٢ كيلو متراً من هنا مناجم الفوسفات ، والفوسفات كما تعلمون صخر تكون منذ عصور جيولوجية بعيدة من تراكم عظام حيوانات فقرية برية وبحرية من أسماك وزواحف ، ومع مرور الزمن الطويل تحولت هذه العظام الى مادة متماسكة مندمجة يقال لها فى علم الكيمياء فوسفات الكلسيوم ، ويوجد الفوسفات ضمن طبقات العصر الطباشيرى فى بعض جهات القطر المصرى ، كسفاجة والقصير ، واسنا ، وفى بعض الواحات ، والفوسفات لا توجد نقية بل مختلطة بصخور أخرى ، وتختلف نسبتها فى الصخر الخام من ٣٠ فى المائة إلى ٧٥ فى المائة ، على أن النوع الذى يطلب عادة فى التجارة هو الذى يحتوى على ٦٠ فى المائة — ونستعين بالطرق الميكانيكية على استنباط الفوسفات من المناجم ونستخدم كذلك عدد كبير أمن العمال فى عمليات الحفر ، وفرز أحجار الفوسفات وفصلها عن المواد الاخرى ، وفى شحنها من المناجم إلى المطاحن . وبين سفاجة ووادى الحويطات سكة حديدية تنقل فى الذهاب الماء العذب والزاد للعمال والموظفين ، وتنقل فى العودة الفوسفات

ثم انه دعانا لمصاحبته الى المطاحن ، وهى بناء كبير من طبقات قد ركبت فيها ماكينات على هيئة اسطوانات كبيرة ، داخلها كرات ملساء من الصلب يلقى فيها حجر الفوسفات بعد تجفيفه بنشره فى الهواء تحت أشعة الشمس ، فيتبخر ما به من الرطوبة فأذا دارت الاسطوانات طحنت الكرات الفوسفات وجعلته كالدقيق الناعم (البودرة) وبعد تعيين نسبة الفوسفات الخالص فى عينات الدقيق المختلفة ثم مزجها بالقدر اللازم توضع فى أكياس ذات سعة محدودة وترسل للمخازن حيث (تشون) للتصدير .

ثم بعد ذلك جلنا حول المطاحن وشاهدنا الفوسفات وهو منشور قبل نقله اليها وهو على هيئة صخر أبيض اللون يميل الى الصفرة ، ولاتزال ترى فيه بقية من أسنان الأسماك التى كونته وبعضها صغير شديد الاندماج كبير لايختلف كثيرا عن أسنان الحيوانات البحرية التى تعيش الآن ، وقال المدير إنهم احيانا يعثرون على بعض أجزاء من عظام الحيوانات القديمة حافظة شكلها

ثم انتقلنا الى مقطرات الماء العذب من ماء البحر ، ثم زرنا مكان توليد القوة التى تدير المطاحن والدوافع ، وتنير المدينة بالكهرباء .

والفوسفات سماد لبعض المزروعات ، وهو شائع الاستعمال فى كثير من الجهات ، على أنه فى حالته الطبيعية لايصلح سمادا لقلة ذوبانه فى الماء ولذلك يصدر للخارج لتحويله الى مادة تذوب يقال لها (سوبر فوسفات) ومعظم الناتج من مناجم سفاجة يصدر لليابان لهذا الغرض

وسكان سفاجة نحو خمسمائة منهم أربعمائة من العمال والصناع وكلهم تقريبا من المصريين

وفى الأصيل عدنا الى الغردقة فبلغناها قبيل العشاء .

الدمرداش محمد